جامعة تكريت
كلية الترابية للبنات /قسم التاريخ

المرحلة :الثانية
المادة : تاريخ الحضارات القديمة
عنوان المحاضرة : المقدمات الحضارية للعصور المبكرة

اسم التدريسي : ا.د .ادهام حسن فرحان

الايميل: Idham.hassan@tu.eru.iq

المقدمات الحضارية للعصور المبكرة

عصور ماقبل التاريخ : التاريخ بوجه عام قصة تطور الانسان منذ أقدم العهود، فهو يخبرنا كيف كانت وضعية الانسان الأولى عندما كان في عهد القطرة والتوحش ثم كيف قطع هذا الشوط الطويل بعد الوف السنين، وينتقل من حال إلى حال جديد ، فيبتي اولى الحضارات في العالم ان دراسة هذا الجانب المهم من تاريخ الانسان الذي عاش على الأرض العربية واسس اولى الاصول الاساسية لتراث البشرية منذ أقدم عصور ما قبل التاريخ ، حفزت هذه الاشياء لان ينتج عن ذلك غريزة حب الاستطلاع عن الماضي متمثلة بما يسمى علم التنقيبات التي هي الوسيلة الوحيدة التي يمكن الاعتماد عليها والتي تمد الباحث بمصادر اصيلة سواء كانت المكتشفات وثائق كتابية ام بقايا اثرية مادية على اختلاف انواعها مع ما عرف عن مدنيات الشرق في اخبار الكتب المقدسة وروايات المؤرخين القدماء اليونان والرومان (واخبار الرحالة من مختلف انحاء المعمورة لقد تكونت لدى الباحث في التاريخ مادة دسمة بالنسبة للتاريخ القديم ، معتمدة على كل ما خلفه الانسان القديم بكل انواعه فهو إذا يشمل آثار الماضي وبقاياه وخصوصاً قبل عملية اختراع الكتابة في العراق القديم حيث تعتمد معلوماتنا على آثار الانسان فقط وهي التي يتركها في المكان الذي سكن فيه كأدواتة المصنوعة من الحجارة والعظام والخشب والفخار علاوة على النقوش والتصاوير التي خلفها في الكهوف والمأوى الصخرية مع مخلفات الحيوانات التي اصطادها أو دجنها إلى أن اهتدى الانسان إلى اختراع الكتابة التي تعني انقلاباً في حياة الانسان وعلى هذا الاساس فقد قسم المؤرخون تاريخ البشرية إلى عصور وادوار مختلفة يشمل القسم الأول منها ما يعرف بعصور ماقبل التاريخ وهي أزمان موغلة في القدم حيث تبدأ منذ أن وجد الانسان على سطح الكرة الأرضية . ولذلك فان هذه الفترة الطويلة قد قسمت ايضاً إلى أدوار رئيسة إلى أن تم اكتشاف الكتابة في مطلع الألف الثالث ق.م ، فلذلك يطلق على أقدم ازمان ماقبل التاريخ مصطلح العصور الحجرية وهي الدهور التي تؤلف القسم الاعظم من حياة الانسان اما اطلاق مصطلح العصور الحجرية فهو يشير إلى الجانب الصناعي لان الانسان اقتصر حياته على صناعة الادوات من الحجر وبعبارة أخرى أن المادة الرئيسة لصناعة الانسان هي الحجارة قبل الاهتداء الى المعدن كذلك قسمت العصور الحجرية إلى أدوار كثيرة متميزة ومختلفة بعضها عن بعض فقسمت إلى عصرين كبيرين يمتاز كل منهما باساليب خاصة في العيش والحياة الاقتصادية وباشكال الادوات الحجرية التي صنعها الانسان ويعرف اقدم هذين العصرين بالعصر الحجري القديم ويسمى العصر الثاني بالعصر الحجري الحديث واهم ما يميز كل من هذين العصرين انه بالاضافة إلى طراز الادوات الحجرية المميزة لكل منهما ان الانسان في الدور الاول اعتمد في معيشته على جمع القوت ولم ينتجه بيده بل كان صياداً وكان النقاط القوت اساس حياته الاقتصادية ، أما في العصر الحجري الحديث فقد تغيرت اسس الحياة لذلك الانسان تغيراً جوهرياً حيث توصل إلى انتاج قوته بيده وضمن حياته بالزراعة وتدجين الحيوانات ولذلك يسمى العصر بعصر انتاج التموت . . والذي يهمنا في هذه الدراسة لهذه المنطقة واقصد بها بلاد الشام والتي ترك فيها الانسان القديم الاته وادواته التي صنعها منذ عشرات الالاف من السنين خلال ما يسمى بالعصر الحجري القديم (الباليوليتي) والحديث (النيوليتي) التي تشير

الى استيطان الانسان القديم في هذه المنطقة واكتشاف مخلفاته اعطانا فكرة واضحة عن تطور الانسان في تلك الفترة السحيقة في القدم وخصوصاً انسان الكهوف في لبنان وفلسطين وبادية الشام قرب الرعب هذا إلى جانب كهف عدلون بين صور وصيدا وجبل الكرمل وغرب البحر الميت الى جانب رأس شمرة. ان هذه المخلفات الاثرية التي تعتمد عليها البحوث ، تمتد فيما وراء التاريخ بعشرات الألوف من السنين ، وقد كشفت التنقيبات التي جرت خلال السنوات الاربعين الماضية في مواقع شمال وشرق سوريا وكهوف لبنان وتلول فلسطين واطلال الاردن اسرار الحضارة المدفونة في تلك العصور الغابرة من هياكل العظائم الادمية والحيوانية وبقايا النباتات ومواد والآت حجرية ... لم تكتشف لحد الان آثار الانسان من العصر الحجري السحيق في هذه البلاد. اما مخلفات العصر الحجري القديم الاسفل (١) فقد وجدت في كهف عدلون الواقع في منتصف الطريق بين صور وصيدا وكهوف جبل الكرمل الثلاث وهي الطابون والصخول والوادي وكهف ام الطقاقة ومغارة الزيونية ، ففي مغارة الطابون عثر على آثار من الصناعة الشيلية والاشولية والليفولوازية والموستيرية (وجود آثار اكتشفت في هذه المواقع في اوربا وسميت بهذه الاسماء نسبة الى الاماكن المكتشفة والتي تعود الى هذه الادوار) . وفي مغارة الصخول وجدت الات من الدور الموستيري . . سكن صانعوا هذه الآلات في الكهوف تخلصاً من المطر والبرد والاعداء والحيوانات المفترسة وكانوا يعيشون على جمع الغذاء من الطبيعة دون بذل جهود لانتاجه ويعتمدون على الصيد ، وقد دلت الفحوص التي اجريت على المخلفات العظمية للحيوانات التي عاصرت الانسان آنذاك انها تعود للفيل (الماموث) والكركدن الجاموس الوحشي ، اما الجماجم البشرية التي اكتشفت في كهف الطابون والصخول فقد ثبت انها تعود لنوع من انسان نياندرتال الذي عاش في العصر الحجري الادنى ولكن هذا الانسان كان يتصف ببعض الصفات الجنسية مما تجعله

وسطاً بين انسان نياندرتال والانسان العاقل بشكل يكون فيه اقرب الى الانسان العاقل لان حجم جمجمته اكبر من حجم انسان النياندرتال الاوربي . سكن هذا الانسان الكهوف وصنع الآته من شظايا حجر الصوان والاحجار الأخرى التي حورها الى فؤوس ومثاقب وقاشطات ورؤوس حراب وسكاكين. اما تنظيمه الاجتماعي فقد كان بدائياً يتمثل في وحدات او مجموعات صغيرة تجوب الغابات والسهوب وموارد المياه بحثاً عن النبات والحيوان اما المناخ في هذا العصر فكان تقريباً جافاً تقريباً ولكن حدث في اواخر العصر سقوط مطر غزير واخذت النباتات شكلها الحديث تقريباً وحدث زيادة في الجفاف في العصر الحجري القديم الاعلى وخصوصاً في دوره الثاني (الاوركنيشي) عدا فترة مطيرة واحدة في هذا الدور ، وقد وجدت آثار هذا الدور في مغارة الاميرة الواقعة بالقرب من طبرية وفي قصر عقيل بالقرب من انطلياس وفي مغارة الوادي في جبل الكرمل . وتتميز تلك . الآثار بالتصال الصغيرة التي قوامها حجر الصوان ، كما تتميز بالالات من العظام والقرون والخشب، وتدل البقايا العظمية على وجود الماعز والضبع والكركدن . اما الانسان فكان لايزال يمثل جنساً خليطاً يتوسط الرجل العاقل

والرجل البائد اما مخلفات العصر الحجري المتوسط الذي استمر ١٢٠٠٠ ــ ٦٠٠٠ سنة قبل الميلاد فقد وجدت في وادي النطوف في كهف شبكة الواقع شمال غرب القدس وفي مغارة الوادي والخيام، وتتميز بالالات الحجرية الهندسية الصغيرة جداً والتي يأخذ بعضها شكل

الهلال والمثلث والمعين وقد ظهرت بين تلك الالات مناجل مصنوعة من حجر الصوان تدل على ان القوم مارسوا نوعاً من الزراعة البدائية الى جانب جمع المواد الغذائية والصيد في البر والنهر، ومن المحتمل ان يكون انسان هذا العصر قد بذل المحاولات الأولى لزراعة القمح والشعير اللذين كانا ينموان نمواً طبيعياً في شمال سوريا وفلسطين . اما الحيوان فلم يستأنسه سكان هذا العصر باستثناء الكلب فقد وجدت جمجم تعود لنوع كبير منه في مغامرة الوادي ...

اما انسان هذا العصر فقد كان طويل الرأس متوسط القامة نحيف البنية، وهي صفات جنسية تصنفه في جنس البحر المتوسط وعلى العموم كان هذا الانسان الذي وجدت هياكله في وادي النطوف اقصر قامة من انسان جبل الكرمل واكثر رشاقة منه العصر الحجري الحديث تلى العصر الحجري المتوسط (١) في سوريا وفلسطين عصر حجري حديث ادنى تميز بصقل الآلات الحجرية والزراعية واستئناس الحيوان والسكنى في اكواخ من اللبن وقد ظهرت مخلفاته في الطبقات الدنيا من اريحا منها الواح حجرية هائلة صفت الى جانب بعضها بشكل جدران لغرف يسقفها قطع حجرية مماثلة ، استعمل الانسان اضرحة دينية كما يستدل من مثيلات لها تعود للعصور وقد تلى العصر الحجري الحديث الادنى في هذه البلاد عصر حجري حديث اعلى اخترع فيه الانسان اواني الفخار اضافة إلى منجزاته في الدور السابق، وقد حلت الاواني الفخارية محل الاواني الحجرية والخشبية وساعدت على طبخ الطعام بدل من شيه على النار وعلى خزنه للفصل العجاف ، وظهرت هذه الاواني لاول مرة في الطبقة التاسعة من موقع اريحا وتدل صناعتها على انها من نوع مصنوع باليد وهو رديء وخشن ومليء بكثير من شوائب النباتات والحشائش وقطع الحجارة الصغيرة التي اضيفت عمدا لمنع حدوث التشقق اثناء تجفيفها وشيها ، وتذكرنا هذه الاواني بصناعات فخارية مماثلة التاريخية ووجدت في اقطار اوربا واسيا وجدت في جرمو وحسونة في العراق وتبة سيالك في ايران ومناطق تركستان وطاسة وبداري في مصر ورأس شمرة وتل جديدة في سوريا استمر الانسان في هذا العصر على بناء البيوت من اللبن وكانت تلك البيوت .تحتوي في الغالب على غرفتين وصفت ارضيتها بالحجارة الصغيرة ويستدل من الثقوب المحفورة فيها على استعمال اعمدة خشبية كركائز لاسناد السقف الذي ربما كان من الخشب والحصير . هذا وقد دفن الانسان في هذا العصر امواته في حفر غير عميقة تحت ارضية الغرف السكنية اما فنون الانسان في هذا العهد فكانت مرتبطة على الأكثر بالدين والسحر والخرافات وقد عبر عنها بتماثيل للاله وبرقى وتعاويذ صنها من العظام والحجارة الحماية نفسه وزرعه وحيواناته ولزيادة انتاجها ، واعتقد بالالهة التي اتخذت عنده صفة انثوية دارت حولها الطقوس والخرافات وصنع لها التماثيل من الطين ، وكانت عنده فكرة غامضة عن الحياة بعد الموت بدليل وجوداواني الطعام والهدايا والحاجبات الاخرى في القبور

العصر المعدني :يعتبر اكتشاف المعدن واستعماله مرحلة مهمة في تاريخ الانسان لأنه أدخل

الصناعة كمادة اساسية بدلا عن الحجارة تم هذا الاكتشاف في غرب آسيا في الألف ((١) الخامس قبل الميلاد بعد اختراع الفخار عندما أخذ الانسان يصنع من النحاس بطريقة الطرق البارد آلته وادواته ولكنه لم يستغن بعد عن الحجارة كمادة اساسية وخصوصاً في صناعة الاسلحة حتى بعد عام ٣٠٠٠ ق.م عندما اخترع البرونز ، ويمكن اعتبار الألف الخامس أو الرابع قبل الميلاد فترة العصر الحجري المعدني الذي امتزجت فيه خصائص الحضارة السابقة

بالحضارة الجديدة وجدت آثار هذا العصر في منطقة اريحا وفي تليلات الغسول وفي اوغاريت (رأس شمرة) وبيت شان (بيسان) وتل العجول وتل جزر وعفولة وتل الدوير وجبيل . ويستدل من المخلفات التي وجدت في هذه المواقع أن الانسان صنع من النحاس آلاته الحربية قبل أن يستفيد منها في الاغراض السلمية ولقد ادى استعمال المادة الجديدة على ادخال تحسينات على فن البناء في تليلات الغسول حيث ظهرت بقايا كبيرة الحجم مستطيلة الشكل ومخلفات اضرحة مستديرة الشكل بنيت باللبن على أسس من الحجارة غير المنتظمة يغطيها سقف من البردى المغلف بالطين . كذلك عثر على جرار فخارية فيها رماد اموات اغلبهم من الاطفال تحت ارضية غرف البيوت ، وفي حالات أخرى وجدت هياكل عظيمة آدمية مدفونة بتلك الجرار بشكل متثني في منطقة رأس شمرة وكركمش وتل الجزر وفي الموقع الاخير الواقع جنوب شرق رام الله وجدت بقايا سور مشيد باللبن حول القرية الامر الذي يستدل منه على أن عادة تسوير القرى والمدن بدأت في هذا العصر كما عثر على ضريح استخرجت من تحته بقايا عظام الخنازير الذي يرجح أن يكون هذا الحيوان هو المفضل للتضحية في الطقوس الدينية ، ويستدل من بقايا النباتات في تل الجزر في موقع تل الجزر على أن الزراعة شملت الكروم والزيتون والخضروات الحقلية البصل والثوم والحمص .. اما الحيوانات الاقتصادية اي الماشية و الضان فقد زادت العناية بها . اما سكان بلاد الشام في هذا العصر فلم يكونوا من جنس واحد، بل أن العنصر الرئيس هو العنصر العربي القديم أي العنصر الجزيري بدليل الهياكل العظمية البشرية التي وجدت في تل الجزر في الجنوب ، حيث انتشرت هذه القبائل في الشمال ووجدت بقاياهم في منطقة كركميش ، الا أن الصفة السائدة حسب الدراسات الانثروبولوجية تعود إلى القبائل العربية القديمة كالآ موريين والآراميين والكنعانيين (الفينيقيين). من نتيجة البحوث والدراسات الاثرية يتيين وجود جنس العمالقة وذلك من ملاحظة مدافن الكهوف التي يبلغ بعضها المئات من الامتار والقبور التي شيدت بكتل من الحجارة الضخمة على اسس دائرية ولا يزال بعض هذه القبور الضخمة قائمة في الاردن ومرتفعات سورية . ويستدل من النار قطع الآلات المعدنية